

التربية من حيث معناها العام دراسة للمدينة بأجمعها ، ودراستها من حيث معناها الخاص دراسة لتاريخها ومثلها الأعلى وقتها العملي وفلسفتها (انظر A Philos. of Educ)

هذا عن معناها . وأما ضرورتها فما هو « هربارت » يقول : « إنها (أى التربية) مهمة دينية ورسالة مقدسة ! » وهاهو « كانت » يزعم « أن الانسان لا يصير إنساناً إلا بها » !! ولاشك أنا نستطيع أن نلص ضرورتها في نواح عديدة أهمها الثلاث الآتية :

١ - الناهية النفسية

ذلك أنا إذا أخذنا طفل « الرجل المتعدن » وألقيناه في إحدى الغابات ، وفرضنا أن الطبيعة ستعزاه حتى يستطيع أن يطعم نفسه ويدافع عنها ، لوجدنا أن نشأته بين الأشجار ستكون بدائية ^(١) بحيث ترجع بالانسانية آلاف السنين إلى الوراء

وكذلك قد لوحظ أن الطفل الاسكتلندي الأصل إذا ما انتقل إلى الوسط الفرنسي تغير كثيراً وأضحى غير زملائه في وسطه الأول ومعنى هذا أن الوراثة الاجتماعية تعدل في الوراثة البيولوجية تمديلاً خطيراً . ومادام الأمر كذلك فجمال « الإمكان » في التربية إذن فسيح ، وبجمال سلطانها على مستقبل الناشئ ، بل والعالم كله ، من حيث السعادة والشقاء ، والتقدم والتأخر ، إذن عظيم وخطير ! يؤيد ذلك قول تورندايك في The Educ Psycho « إن التربية أعظم مساعد للناس جيداً على تحقيق خيرهم المطلق » وقول الأستاذ آدم سميت في The Wealth of Nat « إن الفرق في كثير من الأحيان بين الفيلسوف ورجل الشارع ناشئ في العادة من التربية أكثر مما هو ناشئ من الطبيعة » ، وقول هيوم « ما المران والممارسة ينشئان العامل الماهر »

بل إن البعض لينذهب إلى أكثر من ذلك ، فهم يدعون أن علم الوراثة سيستطيع أن يقدم للتربية في الغد ما يمكنها من « خلق » العقل والجسم اللشودين !!

٢ - الناهية الاجتماعية

والانسان فضلاً عما تقدم كائن اجتماعي . ولما كانت الحياة في ذاتها نحو وتطور وتجدد كانت التربية هي الاداة الفعالة التي

فلسفة التربية

كما يراها فيلسوف العرب

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٣ —

« خلق الله تعالى الانسان وأودعه بكرة كماله المشهود ، ثم تركه للعلم ينمي فيه هذه البكرة حتى إذا ما اشتد ساعده واصل تربية نفسه بنفسه محققاً إرادة السماء »
Kant ، « Traité de Pédagogie »

ينت في المقال السابق ما بين الفلسفة والتربية من علاقة ، وذكرت نحوي فلسفة التربية الحديثة لدى جون ديوى ومدرسته وسأتناول في هذا المقال معنى التربية وضرورتها وقدرتها :

أما معناها فكان وما زال موضع خلاف في التصور والتعبير ، فمثلاً دائرة معارف Chambet تقول : « إن كل شيء يعلم الإنسان وإن التربية على الخصوص هي صب الأطفال في قالب خاص » (انظر A Source Book of Education فصل كيف تصور التربية) ، ويقول Stein : « التربية تطور متناسق للملكات يتفق وطبيعة العقل » ؛ هذا بينما يقول بستالوتزي : « كل عمل المعلم هو أن يمنع ما يعرقل طبيعة الناشئ حتى يستطيع أن تنمو نمواً طبيعياً على مثال صورة الله تعالى » ، وبينما يقول ديوى : « التربية هي الأسلوب الذي يصير المرء في امتلاك متواصل متزايد لنفسه ولقواه ، بواسطة الاشتراك المتواصل المتزايد في أعمال الجنس » هذا ويطلق لنا الأستاذ أمين مرسى قنديل عدم الاتفاق على تعريف جامع مانع للتربية بقوله : « التربية من حيث هي علم لم يستقر بعد ، فهي لا تزال في دور التحول والتكوين » (أنظر أصول التربية والتعليم ج ٢ ص ٣٥)

وصها يكن من شيء فالأستاذ هورن Horn يفهم التربية على نحوين : نحو عام هو تلك « العملية » الطويلة الهائلة التي يتعلم فيها الجنس البشري تحت رعاية ذلك « الروح الأبدى » المتجلى في الطبيعة والانسان ؛ ونحو خاص هو « عملية » المدرسة منذ روضة الأطفال إلى نهاية المدرسة العليا . ولذلك كانت دراسة

بقى بعد ذلك أن نتكلم عن قدرة التربية كما أشرنا إلى ذلك من قبل . والحق أننا نستطيع أن نتحدث هنا دون أى حرج . وها هو ذا إرازمس Erasmus يقول إنه لو سيطر على التربية بضع سنوات لغير الدنيا . وبسارك يردد : « إن من يدير المدرسة يوجه مستقبل الأمة ... » وقديماً حاول إفلاطون أن يخلق المدينة السعيدة الفاضلة بالتربية . وحديثاً يسود الأنجليز ويستمدون عظمتهم من تربيتهم لا من جيوشهم وأساطيلهم . وأخيراً إذا كان العالم يسير اليوم متسائماً نحو الحرب والدمار فلأنه قد نشأ نفسه وأسفاه على أساس من تربية فلسفتها البقاء للأصلح ، وقوامها الوطنية الكلية والقومية الحقاء !!! ؟

لذلك كله يرجو دعاة السلام والاصلاح من التربية خيراً جزيلاً ؛ ويحاولون جهدهم أن يستغلوا « امكانات » علم النفس في تعديل الترائز وتهذيبها والتساي بها أيما استفلال ، ولكنهم يشعرون — وأشعر معهم — أنهم لا يزالون بعد في حاجة قصوى إلى إقناع الساسة والشعوب بفلسفتهم الجديدة القائمة على أن العالم هو الوطن الأكبر ، وعلى أن الانسانية في التعاون والتعاقد والبناء والتشيد ، لا في التنايد والتحاسد والتخريب والتدمير !!!

فهل يستطيعون لهذا الاقتناع سيلاً وأبواق الحرب تهرف في كل مكان بدعاية مجنونة ، ورجال السلاح ينفثون سمومهم وأحقادهم ومطامعهم في نفوس بريئة لا تملك النقد ولا تعرفه ؟؟ وكيف السبيل لذلك الاقتناع ورجال الحرب يسيطرون على الحكومات ويوجهون برامج التعليم إلى حيث تتحقق فلسفتهم الجوفاء ؟؟

ومصر في عصرها الديموقراطى المستقل الراهن ترى للتربية فيها فلسفة ناجحة ؟؟ وإذا كان لها فلسفة ما : أفلا تتطلب هذه الفلسفة تعديلاً يلثم وحاجات العصر الجديد من ناحية ، ويتمشى وحقائق علوم التربية الحديثة من ناحية أخرى ؟؟

ذلك ما أدعوك للتفكير فيه أيها القارى العزيز على ضوء الحقائق التى ذكرتها وسأذكرها ؛ وما أعيدك بقناوله بعد الفراغ من هذا الموضوع

محمد حسن بلانكا

مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية

يستطيع المجتمع أن يحفظ بها كيانه ويمجد نفسه . وكلما تعقدت أساليب الحياة في المجتمع احتيج إلى تربية نظامية دقيقة ، والأفراد يموتون ولكن الجماعة تبقى ، والصغير محتاج — كما يواصل حياة الجماعة فيما بعد — إلى أن يأخذ من الكبير الذى سيموت تاركاً له التراث الأكبر ؛ ، فيجب إذن « تربية » الجماعة دائماً ، وإلا فلا يجد الصغير دعماً يساعده على البقاء ، ومعنى هذا أن التربية في الجماعات المتعددة قد أصبحت تقوم مقام الصلاحية للبقاء في الحيوانات والجماعات الوحشية .

زد على هذا أن الجماعة لكي تكون وحدة ناجحة سليمة يجب أن تتحد في المطامح والمقائد والفهم العام . وليس كالتربية وسيلة لتحقيق مثل تلك الوحدة الناجحة . ذلك أنها ترتب الميول المراد تنميتها وتساعد عملية النمو ؛ كما أنها تطهر وترفع مستوى العادات الاجتماعية القائمة ؛ وتوجد بيئة متوازنة ، هي المدرسة ، تمد الطفل لمواجهة البيئة الكبرى ...

٣ — ناحية النمو

ويقول السير جون آدمز إن أغلب تعاريف التربية تحوى معنى النمو . فكومنيوس وبستالوتزى مثلاً يتفقان في أن العقل كالبذرة ينمو من الداخل . والحق أن الحياة في الفرد وفي المجتمع وفي تاريخ الكائنات جميعاً ليست إلا عملية نمو هائلة متسلسلة ينطق بها لسان التطور ؛ ويحتاج النمو الصالح إلى مرونة تجدها التربية في الطفولة والشباب . وبهذه المرونة تتعلم من التجربة وتكتسب العادات الآلية التى تضمن لنا السيطرة على الطبيعة ، وحسن التكيف في الموقف الجديد ، والاختراع والابتكار والخلق والإبداع

وما دام الأمر أمر نمو فإن المدرسة الحديثة تعارض فكرة الإعداد « للندحسب » كل المعارضة حتى لا تصرف المتعلم عن فرصة الحياة الحاضرة بما فيها من ميزات

يقول « ديبوى » في « المدرسة والاجتماع ترجمة الأستاذ قندلفت » : « لايتاح لأمة أن تبقى حتى الأمانة لنفسها إلا بأن تكون أمينة على إتمام أفرادها التى تتألف منها . ولا عامل كالمدرسة ينيلها ما تريد »